

تَبّاً لكم أحفاد القردة!



الثلاثاء 4 أغسطس 2015 12:08 م

بقلم: أحمد الحارون

وعلى مقربتي من مرمى البصر لمحتُ جملًا يستريخُ من جفليه ووهج الصبراء، ويأتي غرابُ البين ليحطَّ على سنامه، ويعبث بمنقاره اللئيم في جلده، فينغص عليه راحته، وأستحضر من آلام الجمل وصبره آلام فلسطين وقسوة الاحتلال، كما يأتي أسوأ شعوب الأرض وأجبنها لتنقر الشباب بالرصاصات، وتجوس خلال الديار، ما أشبهك يا جملي بلدي! لا يختار غراب البين إلا سنام الجمل ليفسد على من يمطيه راحته، فيشفق من وضع القتب علي جرحه، أتراك يا فلسطين تشبهين الجمل؟ لا تستريحين من همك ليلا أو نهارا، ولست بمنأى عن غربان البين التي أقضت مضجعتك وألمت سنامك، ومتى تعانق القدس مطر الأمان من رصاصات العدو الآثم أو عبث الصديق الأحمق؟

أتعجب! كيف لغراب في حجم دمية صغيرة في يد رضيع أن يعبث بناقة أو جمل؟ وكيف تعبث قبضة من شراذم اليهود لا تساوي في جملتها عدد مدينة صغيرة من مدننا كل هذا العبث بنا وبالمحيطين؟ يبدو أن لكل الأحياء سناماً، ولكل الخلق في هذه الدنيا نصيب من عبث غراب من الغربان، لله دره من زند جمل صبور، يذكرني بكل أم من أمهات فلسطينا الحبيبة، وتحية لك أيها الجمل الصابر على العطش وتحمل لغيرك ثقل السماء؛ تعرف طريق الآبار ولا ترى قيعانها، تماما كالبطن التي تلد وتربي وليدها على الشهادة، وعلى كبرياء سنام الجمل مهما كانت جروحه وقروحه، ومهما عبثت به غربان بني قريظة أو أحفاد بني النضير، وسيظل الغراب غراباً مهما طلي ريشه بلون الطاووس، أو قلد هدبل الحمام، ولا ننسى ما حيينا محمد الدرة؛ ولا طفل الأمس الفلسطيني النابلسي الرضيع علي سعد دوابشة، وستظلين يا أمي لك صبر الجمل وعلو سنامه؛ وقدردنا أن ننام وعيوننا مفتوحة لكي لا تنغص الغربان لنا سناماً، لكن وإن كنتُ من الذين لا يتشاءمون لكن صيحات هذه الغربان ونعيقها أيقظت الموت الكامن داخلي، فهو لا ريب مصيبي هنا أو هناك، قاعداً أو قائماً، وعلى كل حال فأنا قانع بكل ما في علم الله غيباً، فلست أخاف بياض السيوف ولا نعيق الغربان، وما أقرب دورنا بقبورنا!

يا أُمَّةَ المِليارِ أينَ قُلوُبكمُ *** أينَ الفِشاعِرُ هلْ غَدَتْ أَحْجاراً؟
لَمَّا رَأَيْتُمْ جِسمَهُ مُتَناسِراً *** وَدِفاءَهُ صارتْ عليه دِئارا
يا أُمَّةَ المِليارِ هلْ مِنْ عَضْبَةٍ *** لِهْ تَعْمُوا دُنْنا والغارا